الحكاية الشعبية ومصطلح التحول ...

الحكاية الشعبية فهي نوع من الحكاية له دلالته الخاصة ولاسيما وسمها بالشعبية فأصبحت مفهوماً قاراً به حاجة إلى تفصيل دقيق، وسأحاول نقل بعض التعريفات للحكاية الشعبية ثم انتقل إلى خواص الحكاية الشعبية التي تميزها من الانواع الباقية، ومن التعاريف المتداولة في الكتب النقدية للحكاية الشعبية تعريف المعاجم الالمانية "بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية(²).

ومع ذلك استطاع الدكتور عبد الرحمن الساريسي ان يضع تقييمات للحكاية الشعبية وعدّ اطار الحكاية الشرعية متضمناً (الحكاية الخرافية وحكاية الواقع الاجتماعية أو الحكاية الشعبية في معنى خاص، والحكاية المرحلة وحكاية التجارب الشخصية، وحكاية الحيوان، وحكايات المعتقدات، وحكايات الشطار) (³).

 \_٤\_

ونتفق مع الدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي حسين حصر وظائف الحكاية الشعبية في ثلاث اتجاهات الاولى اجتماعية والثانية عقائدية، والثالثة نفسية، والمقصود بالوظيفة النفسية الامتاع والتسلية(¹).

 وبما ان الاطفال يعدون احد الناقلين للحكاية الشعبية إذ تستنسخها اذهانهم فتعيش في ذاكرتهم وخيالاتهم وتؤثر في سلوكهم فيما اذا كانت حكاية اخلاقية هادفة بوجه خاص، عندها سترافقهم ما امتد بهم العمر، ويعملون على نقلها كلما كانت المناسبة مواتية لذلك وان من الصعب ان تقرر ما يمكن استبعاده عن الطفل من قصص التراث الشعبي وما هي المرحلة العمرية التي ينبغي ان يقدم لها كل نوع من انواع القصص التراث الشعبي لعدم وجود دراسات بهذا الشأن في العراق، لكننا سنلجأ إلى اراء الدارسين الذين نظروا إلى الموضوع من الوجهة النفسية، فكانت معظم الآراء تشير إلى ضرورة تبسيط الحكايات الشعبية الخرافية والتعامل من عامل الخرافة. (²)

الشخصية في الحكاية الشعبية

أن الشخصية في الحكاية الشعبية تبحث عن مفهوم أو معنى للحياة، لهذا كان البطل يواجه مشاكل جمة عليه اجتيازها والتغلب عليها (³)، وبطل القصة غالباً ما تتجمع فيه الصفات .

 \_٥\_

الحسنة جداً، إذا كانت الحكاية تسرد عن الأبطال الخيرين وتظهر الصفات الشريرة على الشخصيات الشريرة المتمثلة بالشر (¹).

ويكون وصف المرأة في احسن الصفات من الجمال والحسن أو العكس إذا كانت قبيحة وكذلك باقي الصفات ونقيضها ونسمي مثل هذا الوصف للشخصيات في الحكاية الشعبية وبالوصف الظاهري.

ان اول ما جسده كتاب الطفل في العراق أدب التراث الشعبي تلك الحكايات الشعبية التي شاعت في قصص (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة).

وهم بذلك قد وظفوا التراث العربي بقيمه الاصيلة الذي يمكن ان يكون معيناً تراثياً لتنمية قابليات الطفل الادبية فضلاً عن ان هذه الخطوة جعلت التراث متحركاً خلال البعد الزمني الكبير غير مبالٍ للتحولات الحضارية في كل جوانبها لأنه يملك قابلية التطعيم الأخلاقية والنفسية في كل زمان ومكان، ولأن (ما من أثر من آثار الادب الشعبي الا وجد نافيه رواسب نفسية واغلة في القدم) (²)، وذلك يعني ان اجدادنا تركوا اثراً في حياتنا وفي حياة الاحفاد من خلال الموروث النفسي والعقلي والمادي الذي ترفدنا به حكاياتهم الشعبية.

والحكايات بأنواعها لابد من ان تخلق شيئاً في دواخل الطفل وان تؤثر في حياته وتهز اطار الواقع الذي يعيشه بعض الشيء، لابد من أن نلمس ارتباطه بالعالم البعيد الذي لا تناله عيناه الصغيرتان والتأكيد يبقى ذلك الارتباط النفسي والتربوي شاخصاً حتى في كتاباتهم فيما اذا اصبح بعض هؤلاء الاطفال كتاباً في المستقبل القريب، وربما يصبح الطفل رساماً مبتدئاً .

 \_٦\_

لبعض أشكال مخيلته عن الغول والسعلاة والاقزام، لكنها اشكال سيظل الطفل يعشق خوفه منها، لأنها العالم الاخر الذي يدخل إليه الطل وحده بعيداً عن الواقع يرغبه منه، وأناه تشبه مغامرة الانسان الاولى وعلى الرغم من ذلك نحاول ان نبتعد عن الاثر النفسي في الحكاية إلى اجواء الحقيقة التربوية الخالصة التي تؤكد ان الخوف من المجهول يعد علامة غير صحيحة في البناء التربوي للطفل.

أما تعريف الحكاية الشعبية

فهي كل صيغة أو انموذج من الحكايات المكتوبة أو المنطوقة ورثتها الاجيال المتعاقبة عواماً طوالاً وصارت ملكاً لكل العصور، ويسقط اسم المؤلف مع اولى خطوات الزمن وتنسب إلى الجماعة، وتصبح كالنهر يأتيه الماء من روافد متعددة ويجري، فلا يعرف من أي رافد أتى، وتتميز القصة الشعبية بعراقتها وجماعيتها( ).

وتعد الحكاية الشعبية من الادب الغريق وغير معروفة لحظة ابتكارها، وتنتقل من شخص لآخر في الغالب الاعم عن طريق الرواية الشفاهية، وتعتمد روايتها على ذاكرة الراوي الذي قد يضيف اليها أو يحذف منها، مما يجعلها قابلة للتطور، ويحدث تعديلاً في عباراتها تبعاً لمزاجه أو موقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية( ).

ولا نظن ان موضوعاً يحتمل البحث والمناقشة وتبادل الرأي والاهتمام مثل موضوع الادب الشعبي، والاشكال الفنية والاساليب الخاصة به في التعبير عن معنى الحياة ومسراتها واحزانها، وهو موضوع تنبه إليه النقاد والدارسون والباحثون، والادباء في مطلع العقد الثالث .

 \_٧\_

 من القرن العشرين لكن الاهتمام به ودراسته بدأ بعد منتصف العقد السادس تقريباً، إذ ظهرت دراسات حول قصص التراث مثل الحكايات الشعبية والاساطير والحكاية الخرافية والقصص الشعبي المحلي ودراسات اخرى اقامها المتخصصون بالفلكلور وعلم (الميث ولوجية).

اسلوب الحكاية الشعبية:

ان اسلوب الحكاية الشعبية يتميز باستخدام الابتداء ان في مقدمة الحكاية مثل (كان في الزمن الماضي) أو (كان ياما كان في سالف العصر والاوان) وغيرها من الابتداءات.

كما يمنح القصاص الشعبي تشبيهات خاصة للفتاة، كأن يصفها بالبدر ويصف حاجبها (كالهلال) وخداها كالتفاح، فهي تشبيهات تتعامل مع الطبيعة مباشرة (¹).

ولغة الحكاية الشعبية تصويرية تتفاعل معها الروح، فضلاً عن البساطة والوضوح والسهولة واحياناً نستخدم بعض الحكايات المكتوبة بأسلوب السجع، في الحكاية كلها أو في بعض اجزائها (²)، ويكون للأسماء وبعض الالفاظ قوة سحرية ولاسيما إذا انطلقت بصيغة معينة أو على هيأة الشعر، كما في حكاية (علي بابا) حيث هتف زعيم اللصوص عبارة (افتح يا سمسم) فتح باب المغارة، وكذلك حكاية (شو لم ، شو لم) (³)، وفي حكاية بالعنوان نفسه، حيث اوهم صاحب الدار اللصوص، وجعلهم يعتقدون ان لهذه الكلمة القديمة) المعنى قوة سحرية لفعل العجائب، اما عن طبيعة الحوار في الحكايات الشعبية المكتوبة فأن حضوره يتباين من قصة إلى اخرى، فنجد ان معظم الحكايات التي جاءت على لسان الحيوان .

 \_٨\_

 من قصص (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة) قد استندت إلى الحوار كما في حكاية (الخديعة)(¹).

الحكاية في مجلة التراث الشعبي:

عنيت مجلة التراث الشعبي بالحكاية، فقد خصصت جزءاً ثابتاً تحت عنوان (الحكاية الشعبية) فشغلت الحكاية مساحة واسعة في المجلة، كما عنيت المجلة بالمقالات والدراسات التي تتناول الحكاية الشعبية منذ تأسيسها، وكانت أول حكاية تنشر في العدد الأول هي حكاية (أسطورة من القوش) وبعد ذلك استمر نشر الحكايات الشعبية وتدوينها، فقد اصدرت المجلة اعداداً خاصة بالحكاية الشعبية ومنها العدد العاشر سنة 1971-1972، وعدد خاص بألف ليلة وليلة العدد الاول سنة 1979، وعدد خاص بالحكاية الشعبية ايضاً وهو العدد الثاني سنة 1996، وهذه الاعداد خاصة بالحكاية الشعبية العراقية والمترجمة فالحكاية كانت تدون من مناطق العراق المختلفة، فكانت حكايات كردية وحكايات تركمانية، من وسط العراق ومن الجنوب، فغطت الحكايات الفضاءات أو البيئات المختلفة، إن الحكايات في المجلة تنوعت ما بين حكاية شعبية عجيبة أو اساطير أو هي حكايات شعبية تسمى اساطير مثلما رأينا في اسطورة من القوش، وهناك حكايات جاءت مستقلة تحت عنوان حكاية شعبية وهناك حكايات جاءت مع المقالات من دون ان تذكر من الفهرس مثل العدد الثالث سنة 1989 وهو عدد خاص بالبصرة، وكذلك العدد الثاني سنة 1977 فيه حكاية مع المقال وهكذا وقد نشرت المجلة حكايات مترجمة مع من جميع دول العالم من آسيا وافريقيا وأوربا وامريكا اللاتينية .

 \_٩\_

وسجلت حكايات كثيرة عن المرأة ايضاً، فصورتها بصور متعددة فهي الأم الحنون، وهي المرأة الخائنة والصابرة والعاشقة، والساحرة، وزوج الاب القاسية، هذا كله صورته الحكاية الشعبية المدونة، ففي حكاية (الأم والابن العاق)(¹) نجد الام التي اجتهدت في تربية ابنها الوحيد، وعانت من ضيق الحال، نجد الابن ينصاع لرغبات زوجته التي ادعت المرض ولا شيء ويشفيها الا أكل قطعة من قلب امه بعد ان اتفقت مع عشيقتها حتى تتخلص من امه وبعد ان اخذها وذبحها عند عودته تعثر فنطق القلب (يحرسك اسم الله) فتأثر بهذا فاكتشف خيانة زوجته، فقام بقتلها وقتل نفسه، فالحكاية اسمت بصورتين متناقضتين للمرأة: الأم الحنون الصابرة المحبة لأبنها التي تشقى وتقاسي والمرأة الخائنة التي تعمل المستحيل من اجل تحقيق مبتغاها، وهي زوجة الابن، فالحكايات التي دونت اشتملت موضوعاتها، فضلاً عن المرأة وعلى اصحاب الحرف، فهي "تستغل فن التشخيص" أي رسم النماذج البشرية الدالة على طبقة أو حرفة أو ضرب معين من ضروب السلوك، وسياق الاحداث يعبر بدوره عن نزعة نقدية (²).

وسأوضح هذه الحكايات في الجدول التالي واضعاً أمام كل حكاية مضموناً افتراضياً يوضح الهدف من الحكاية مع توضيح ذات الطابع الاجتماعي والاخلاقي.

ت اسم الحكاية العدد مجال الحكاية

1 بيت الزوجة 6054 من 1963-1964 واقع اخلاقي/ فارق بالسن بين الزوجين

 \_١٠\_

وتقديمها إلى الطفل بشكل يناسب حياته العصرية، إذ ان تطوير وتطويع الحكايات الشعبية بحيث نمسي ملائمة للأطفال هو جزء من تطوير فن شعبي عريق لا يمكن ان تضل له قيمة ما لم يتجدد فمن الضروري تجديد افكار بعض الحكايات الشعبية وحذف كل ما يشوبها من الايهام الذي يقف قبالته محتاراً ووضعها في قوالب أدبية جديدة(¹).

ولا بد من الاشارة ان البعض يرفض التحوير في الحكاية الشعبية باعتبارها إرثاً شعبياً يجب الحفاظ على صالته، إلا أن الحكاية الشعبية تتصف بالمدونة إذ أنها تنتقل من شخص إلى آخر بجدية فقد يضيف إليها شيئاً أو يغفل شيئاً آخر وهو ما يجعلها قابلة للتطور والتطويع بحيث تصبح ملائمة للأطفال، وهو جزء من تطوير فن شعبي عريق لا يمكن ان تظل له قيمة ما لم يتجدد وتوضع في قوالب أدبية جديدة تلائم وتذوق الطفل وقدراته العقلية والعاطفية واللغوية ووفقاً لمستجدات الحياة.

وغيرها من الحيوانات التي تستدعي انتباه الطفل وتثير عاطفته فهناك حكايات صورت "الحيوانات في المغاور والكهوف وأحياناً كانت تمثيلاً لمدلولات وقصص ذات معنى"(²)، وتعود نشأة قصص الحيوان إلى بلاد الرافدين وما اقره د. داود سلوم في كتابه قصص الحيوان" ان نشأة هذا النوع من قصص الحيوان قد بدأ اول ما بدأ في اقدم حضارة عرفها .

 \_١١\_

 التاريخ في بابل المتأثرة بسومر وأن الأساطير العراقية بشكل عام قد سجلت في العراق قبل ان تصل الحضارات الاخرى على درجة الضوج" (¹).

ومن هنا تظهر لنا وظيفة الحكاية وظهورها وتداولها واشاعتها بين الازمنة العابرة والاجيال المتعاقبة وكيفية ولادة الافكار التي تضمها انواع الحكاية الشعبية والاسباب التي تدور حولها والموضوعات الاساسية الكبيرة كلها انطلقت من معضلات الحياة اليومية ومن مخيلة الانسان وقدرته على التخيل وتصور الاشياء المرئية تصوراً ذهنياً، فهو يبدع ويخلق ويتخيل تفسيرات وأفكار ورؤى تبعث الامن والسكينة في داخله (²).

تتشابه الحكايات لدى الشعوب المختلفة لأنها ترجع إلى اصول عالمية مشتركة الاجيال من الامم البدائية ولكنها تلك الحكايات تبقى مطبوعة بطابع البيئة التي تروج فيها وكل شعب يحكيها بطريقته الخاصة المتأثرة بمواقف الناس الناشئة إزاء حياته الواقعية وما يحيط بهم من ظروف ولا تقتصر الحكاية على ما يتناقله الناس فيما بينهم بل تمتد لتشتمل النصوص المبثوثة بين طيات الكتب ورددتها الجماهير وسجلها الكتاب كحقيقة ودليل على تيارات الفكر السائد وبدت اكثر وضوحاً وفعالية كما في كتاب (كليلة ودمنة) وهو عبارة عن قصص ابطالها حيوانات تقوم بأفعال إنسانية وتتصرف كالبشر تسجد انتقادات للأوضاع الفاسدة السائدة في المجتمع الفارسي آنذاك.

استد الكثير من قصاصي الاطفال من الحكايات الشعبية مادة لقصصهم ولاقت إعجاب الاطفال وسعدوا بأبطالها وفرحوا بالحيوانات المؤنسة، والانسة هي "جعل الحيوانات بشراً في السلوك .

 \_١٢\_

 وفي العقل وفي النطق والزج بها على العوالم اليومية للإنسان (¹)، فالحيوان اداة رائجة في استقطاب عقول واهتمام الاطفال، وكذلك النباتات التي تطير وتتحرك وتقوم بأدوار بشرية تناسب طبائعها الحقيقية في الواقع والتي تمتاز بالبساطة والثبوت، وتثير مشاعر الاطفال وسط اجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل والخير والمحبة .

وتحوي الحكاية الشعبية على الطرفة والفكاهة والجاذبية والشاعرية والفكاهة هي "تلك الصفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة أو القراء(²)، وتستهدف تنمية ذوق الطفل وإذكاء احساسات وتأصيل قيم ومفاهيم جديدة لديه حيث "تولد الفهم الكامل والصحيح للموقف الساخر وأسباب وقوعه لكي يتجنبها مستقبل(³)، لا تزال معظم الحكايات الشعبية تقدم للأطفال بنفس الصيغ القديمة دون حذف أو تشذيب وفي هذا شيء من الخطورة لأن الحكاية الشعبية تعكس تصورات الانسان القديم في موضوعها وتوضح افكاره وطموحاته وتأملاته فهي حكايات وليدة الإقطاع وعصور العبودية تشمل مضامين غيبية قدرية ولم تكن معدة خصيصاً للأطفال لأنها تعبر عن واقع مختلف تماماً عن واقع الحياة الحاضرة وبالإمكان تحويرها وإبراز الجوانب التي تحقق الحق وتنشر التعاون والخير والمحبة وملائمة للحياة المعاصرة فيمكن جعل الطفولة حبيسة تلك الأفكار والتأملات والتصورات المنسوبة إلى مجتمعات مختلفة.

 \_١٣\_

وهذا ما اشار إليه الدكتور (الهيتي) بقوله :"أن من بين الحكايات الشعبية وما يمكن أن يصلح للأطفال ومنه ما ينبغي العادة عنهم لما يحمله من اضرار ومنه ما يمكن إعادة كتابته في مضمون وشكل مناسباً فلابد من تبسيط الحكاية"(¹).

الحكاية الشعبية في أدب الاطفال

تعد الحكاية جزءاً من الأدب الشعبي ولها معنيان المعنى الاول واسع ويشمل ألوان السرد القصصي المتناقل بين الناس من جيل إلى آخر، والنوع الثاني خاص يراد به الحكاية الشعبية أو حكاية الواقع الاجتماعي وهذا ما يهمنا في دراستنا هذه ويمكن ان تندرج ضمن الحكاية انماط كثيرة من الموروثات الشعبية المرحة وحكايات الحيوان وحكايات الجان وحكايات التجارب الشخصية وحكايات الشطار.

أما الأساس التاريخي للحكاية الشعبية، فتعد الحكاية الشعبية من الحكايات المروية التي تتوارثها الاجيال المتعاقبة فهي من أعراف الحكايات في العالم وهي المنبع الاول لأغلب الحكايات وقد مرت بتطورات عديدة للأحداث التي مرت على الشعوب(²).

إذ يرجع ظهور الحكاية إلى أمد بعيد بسبب تناقلها من جيل إلى آخر حيث كانت وليدة معتقدات وعادات الشعوب في الازمنة البعيدة واحتلت الحكاية الشعبية موقع الاسبقية بسبب تناقلها من جيل لآخر ولا يوجد شعب دون حكايات مهما كان بدائياً بل أن البدائية شرط لازم لوجود الحكايات الشعبية والحكايات ليس لها مؤلف معروف فهي نوع من انواع السرد القصصي الشفاهي، إذ كانت تسرد دون ذكر لمؤلفها أو كاتبها توارثها الناس واصبحت .

 \_١٤\_

الجزء المهم في تراث الشعوب فهي وليدة العادات والمعتقدات والعواطف التي تلازم الانسان حتى يومنا هذا(¹).

عرفت المجتمعات الانسانية الحكاية الشعبية منذ فجر تاريخها وضل هذا الشكل ملازم لتطور المجتمعات بلا توفق حتى الوقت الحاضر وقد ظهرت الحكاية وتطورات وأخذت اشكالاً عديدة حسب الاصل الذي تنتمي إليه أو الاسلوب أو الفكرة أو الاحداث التي تدور حولها ومنها الحكاية المثيولوجية والتي تعني في اللغة اليونانية الاسطورة أو الخرافة وهي حكاية تتعين بالخيال الانساني مرتبطة بالأرباب والابطال وبأعمالهم ومغامراتهم فهي تفسر قوى الطبيعة الخارقة.

وتعد المثيولوجيا اليونانية ثروة خاصة ذات اهمية كبيرة في الحضارة الانسانية منها خرافات (برميثيوس) ومن الحكايات الأخرى (الملاحم) التي تحكي وقائع الابطال ومغامراتهم وما قدموه من اعمال مذهلة في سبيل توحيد عناصر مجتمع من المجتمعات حيث يتعلق الاطفال بهذا النوع من القصص ويزداد حبهم بها في مرحلة معينة من طفولتهم وهي الرحلة التي تقع قبل سنة المراهقة.

إذ يكون الطفل بصدد تكوين فكرة عن ذاته وإثبات وجوده أمام الغير ويتم ذلك عن طريق المحاكاة بأدب الطفل بنموذج معين قد يكون احد افراد الاسرة أو من الابطال الذين يقرأ عنهم (²).

 \_١٥\_

فلابد من توخي الحذر في اختيار الابطال والمغامرين والابتعاد عن الابطال الطائشين والقتلة واللصوص خشية الاقتداء بهم واختيار الحكايات التي تسعد الاطفال بأبطالها "الذين يتحركون بحرية دون حواجز أو قيود وإثارة مشاعر الاطفال وسط اجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل، حيث ينتصر الخير دوماً ويخذل الشر والاشرار ( ).

ولابد من الاشارة ان انتصار الاخيار على الاشرار والدفاع عن الحق والمظلومين يكون على يد ابطال يتمتعون بقدرات خارقة، فهم كائنات بشرية تساعدهم الآلة والجان.

فالملحمة هي قصة شعرية تروي مغامرات بطولية خارقة وتبين منهج الفكر والسلوك لدى الاطفال القديم وتعد حكايات من أقدم الحكايات الشعبية هي الحكايات التي يتخذ فيها الحيوان دوراً رئيسياً وتتألف من حدث بسيط أو عدة احداث تتضمن درساً وعناية تنتهي بهدف معين وهي محاولة تفسير اشكال الحيوانات على اختلاف فصائلها وهي حيوانات قريبة من بيئة الطفل ومألوفة لديه كالأسد والقطة والكلب والارنب والافعى والثعلب .

 \_١٦\_

أنواع التحول في الحكايات الشعبية في أدب الاطفال

التحول لغةً: تغيرُ من موضوع إلى آخر.

أو هو التنقل من موضوعٍ إلى آخر أو من حالٍ إلى حال (¹).

التحول كما يعرفه أرسطو في كتابه فن الشعر بأنه (انقلاب الفعل إلى ضده تبعاً للضرورة والاحتمال)(²).

والتحول عامةً: هو مرور الشيء بعدة مراحل، كلّ مرحلة يتولدُ عنها مرحلة اخرى بفعل السبب والنتيجة، حيث يوجد في نهاية كل حدث نقطة معينة بعدها يصل الحدث إلى مرحلة جديدة، اصطلح على تسميتها بالتحوّل، فالتحولُ إذن هو الانتقال من حالة إلى حالة نقيضة، ولابد ان يحدث التحول كنتيجة ضرورية لتسلسل الاحداث(³).

أن من انواع التحول في الحكايات الشعبية هو التحول في نهاية الحكاية أي تغييرهُ لتعميق العظة ويكون التحول في النهايات المأساوية التي اعتادَ عليها الطفلُ سماعها إلى نهايات سعيدة دون أن يضرَ ذلك بمضمون الحكاية(⁴)، إن نقطة التحول تقع في لحظة حاسمة وهي المشهد الذي يظل عالقاً في الذهن بحيث يوجه الكاتب اهتمامه الخاص به وفي .

الاغلب تكون نقطة التحوّل لها علاقة مباشرة بالشخصية الرئيسة وتكون النتيجة المنطقية للحدثِ المتصاعد وتؤدي مباشرة إلى الذروة(¹).

التحوّل الذي يعمل على بناء شخصية جديدة من خلال انتاج علاقات جديدة تتجاوز العلاقات التماثلية نحو علاقات سببية فيتحول مستوى الشخصية من التسطيح إلى مستوى آخر يحيل المتلقي إلى معانٍ جديدة قد ترتبط بذات القصة وتحيل إلى أحداث وافعال اخرى، يحاول الكاتب طرحها أو اثارتها وهذا ما يتطلب تعدد المستويات الدلالية للشخصية نفسها وابتعادها عن احادية المعنى صوب معانٍ أخرى ترتبط بذات الشخصية وما تمثله بعد عملية التحول(²).

يحدث التحول في الحكايات الشعبية في اغلب حالاته بفعل السحر والسحرُ حقيقة أزلية عرفتهُ الاجناسُ البشرية منذ القدم لذلك نجدهُ يستخدمونه في معظم حكاياتهم التي تنقل يومياتهم واحلامهم، وفي تحقيق مطالبهم وأهدافهم، وكذلك في الانتقام من الآخرين، سواء يكسر علاقاتهم كالتفريق بين الازواج وايضاً تنزيل السخط عليهم وذلك بتحويلهم إلى حيوانات(³).

 \_١٩\_

ولقد ارتبط المسخ في القص الشعبي بأمور السحر والخوارق بل ان تغير صورة الانسان إلى حيوان أكثر موضوعات السحر انتشاراً وتكراراً في الليالي، لذلك يربط ماهر البطوطي بين السحر والمسح برباطٍ وشيق إذ أن عدد كبير من اعمال السحر في القصص يتعلق بالتحولات أو المسخ، وهذه الامور يقوم بها الساحر أو الكاهن لهُ القدرة على انزال العقاب بمن يخافون منه أو لا يقدرون على مقاومته ( )، تتشابه الحكايات الشعبية في احداثها رغم اختلاف الثقافات وتباعد المسافات وقد يعود ذلك إلى عيش تلك المجتمعات للأحداث نفسها ومن أهم نقاط تشابه الحكايات على المستويين العالمي والعربي وهو تحول الشخصيات، كأن تتحوّل الشخصيات الانسانية إلى حيوانية في اغلب الاحيان( ).

أنواع التحول:

ان التحول لا يكون على شكل واحد في معظم الحكايات الشعبية، بل يتفرع إلى عدة أنواع يحدث التغيير في الاحداث الرئيسية للقصة، أو في صفات ابطالها وتوجهاتهم بل وفي اشكالهم وسلوكهم، أو يحدث التحول في نهاية القصص التحول في نهاية القصة أو الخاتمة يعني ان تتخذ من خاتمة الحكاية موضعاً مناسباً لتغير ما يمكن تغييره، لتعميق اللحظة، كما في حكاية (الغراب والثعلب)( ) حيث وضع الغراب قطعة الجبن جانباً وصاح (قاق – قاق) وحيث شعر الثعلب ان حيلته لم تنجح حزن كثيراً لأنه جائع فرأى ان الغراب ان يتقاسم قطعة الجبن مع الثعلب.

 \_٢٠\_

ويكون التجول في النهاية الحزينة التي اعتادَ الطفل سماعها إلى نهاية سعيدة دون أن يضر ذلك بمضمون القصة كما في حكاية (الحمامة والثعلب) حيث تنتصر الحمامة على الثعلب دو نان يفترس الثعلب مالك الحزين لتقديمه النصح للحمامة(¹).

ويكون التحول لغرض فكاهي واخلاقي كما في قصة (الحمار يغني) حيث احتوت الحكاية مفارقة جميلة ومضحكة في آن واحد، فكلما يعلم من قصص التراث رغبة الحمار في الغناء وكيف انه كاد يدفع حياته ثمناً لرغبته تلك وقد احدث المؤلف في هذه الحكاية ضربة موفقة في خاتمة القصة بتحولها فحين قرر الحمار ان يغني في الحفلة رأى ان الحاضرين قد صموا اذانهم، سعل واعتذر عن الغناء بأدب قائلاً انه لن يستطيع ان يغني لأنه مصاب بالزكام، وعندما وزعت الهداية في نهاية الحفلة قدمت للحمار الذي لم يغني هدية لطيفة لسبب معروف من غير شك(²).

والتحول الفني يشمله تحول في الاحداث وفي بنية الشخصية التي تتحول من كائن حيواني خرافي أو نباتي أو من الجماد إلى كائن اسني، كما في قصة (الزهرة القرمزية)(³)، حيث تحول الوحش المسخ إلى امير شاب وتحول (الطير) إلى شاب جميل متكامل كما في قصة (الطير السحري) (⁴)، أو تحول الديكين الابيض والاسود إلى شابين جميلين (⁵)، والتحول .

 \_٢١\_

من بطة إلى فتاة ( )، وتحول الزهرة إلى فتاة جميلة ( ) وتحول الاشجار إلى نبات كانت قد اختطفتهن الساحرة في الصحراء ( ).

وتحول الخاتم ذي الالوان الجميلة إلى فتاة بارعة الجمال ( )، واحياناً يكون (التحول) من صورة حيوانية إلى اخرى كما في قصة (الفلاح والطائر الابيض) ( ) حيث تحول الطير إلى افعى لخداع الفلاح (يونس) واختبار حسن نيته.

حكاية الفتاة والاسد (تحليل)

تتناول قصة (البنت والأسد) حداثًا تحمل في طياتها الغرابة والدهشة، حيث تبدأ أحداثها حينما أراد أحد التجار السفر لشراء البضاعة من بلاد أخرى، وقبل سفره سأل بناته الثلاث ماذا يحضر لهن معه؟ فطلبت الأولى عقدًا من اللؤلؤ، والثانية ساعة ذهبية بسوار جميل أما الصغرى فلم تشأ أن تكلف أباها فطلبت وردة بيضاء لأنها كانت تحب الأزهار، لكنها لم تكن تعلم أن هذه الوردة ستكون سبب في تعاستها. وسافر التاجر ولما انتهى من شراء بضاعته اشترى لابنته الكبرى العقد الثمين، والساعة الذهبية لابنته الوسطى، أما الوردة البيضاء فلم يكن من السهل الحصول عليها لأن الفصل شتاء والجو شديد البرودة والثلوج تكسو الأغصان، فلا يظهر الورد في هذه الظروف. واستمر يبحث برفقة خادمه حتى رأى .

 \_٢٢\_

قصرًا كبيرًا حوله حديقة غريبة لاحظ فيها وجود جؤين مختلفين في وقت واحد، ووجود حديقتين إحداهما صيفية والأخرى شتوية في قصر واحد. أخذ ينادي فلم يجد أحدا فقطف الوردة وخرج يواصل سيره. وفجأة لحق بهما أسد متوحش يزار زئيراً مخيفاً وسألهما كيف تسرقان الزهرة بغير إذن مني؟ فطلب مقابل أن يعفو عن التاجر أن يعطيه التاجر أول شيء يقابله عندما يعود إلى بيته، فاضطر التاجر للموافقة على مضض. ولما وصل إلى بيته كانت ابنته الصغرى في استقباله، فرحت بعودة أبيها وبالوردة التي أحضرها لها، لكنه حزن حزنا شديدًا وأخبرها بما حدث بينه وبين الأسد. فوافقت على الذهاب وودعت أهلها، فلما وصلت استقبلها الأسد استقبالا جميلا، وأخبرها بحكايته وعرض عليها الزواج، فما إن وافقت حتى زال عنه أثر السحر وعاد أميرًا إلى صورته الطبيعية. وعاشا في سعادة وهناء، ووصلت للأمير دعوة لحضور حفل زواج أخت زوجته فذهبت للحفل ورأت أهلها وفرحوا بها فرحًا عظيمًا. وأنجبت بعدها ولدًا جميلا، ووصلتها دعوة أخرى لحضور حفل زواج أختها الثانية وطلبت من زوجها الأمير أن يصحبها في سفرها لكي يلتقي بأهلها الا أنه رفض.

باهمية التحول في قصة (الفتاة والاسد) فقد استخدم سمة التحول سبيلاً للحب وصدق المشاعر لأن الفتاة بعد ان احبت الاسد حباً حقيقياً تحول إلى هيأته الاولى هيأة الاسد وتخلص من سحره وهذه دعوة على ان الصدق في المشاعر الإنسانية من الميكن ان يغير احوال الناس.

أما التحول الثاني حين تحول الامير من هيأته البشرية إلى طائرة وقد كانت زوجته الوفية لإجل ان تخلصه من هذا السحر وتعيده إلى هيأته الاولى.

وهذا يشير إلى ان قصة (الفتاة والاسد) هي دعوة إنسانية في تراث الذاكرة الشعبية إلى كل البشر في الحا ضر والمستقبل البعيد ن يتمسكوا بالمحبة لإنها أساس السلام.

أما التحول الثالث فهو تحول الساحرة الشريرة إلى ثعبان ومن ثم عودتها إلى هيئتها الاولى عدة مرات وكانت الساحرة رمزاً للشر في هذه الحكاية وهي ايضاً ترمز لخراب العلاقات البشرية ولهذا يجب المحافظة على التمسك بالحب والمشاعر الانسانية.

ان التحول في هذه القصة كان من نوع التحول في هيأة الشخصيات وهو من اكثر التحولات الفاعلة في الحكايات الشعبية.

لأنه إذا وقع عليه شعاع من النور سيتغير حاله ويتحول إلى طائر أبيض.

وحدث ما كان يخشاه الأمير وتبدأ رحلة العناء والتعب والمشقة وترافقه فيها زوجته الوفية بعدما تركا طفلهما عند جدته كي تربيه، وكان بين وقت وآخر يرسل لها ريشة بيضاء تخبرها بمكانه كي تلحق به وعندما اقتربت رحلة العذاب من الانتهاء ضاعت منها الريشة وضلت طريقها عن أميرها المسحور، فما تركت طريقةً إلا بحثت عنه فيها وطلبت المساعدة من الشمس والقمر فلم يعرفا طريقه، وأعطياها ما تستعين به وقت شعورها بالضيق وعسر الحال. وتسلسلت الأحداث وعثرت عليه بعدما دلتها الرياح الشمالية على مكانه، فوجدته عند أميرة شريرة كانت هي الأخرى مسحورة إلى ثعبان، وقد استولت على الزوج وأنسته زوجته وطفله وحياته السابقة بسحرها، ولما أدركت زوجته ما حدث له، وضعت حيلة تحتال بها على الأميرة وترد زوجها المسحور وتنجح في محاولاتها ويدرك الأمير ما حدث له ويتعرف على زوجته وولده، ويعيشان حياة سعيدة.